مسرحيّة «عذاب»

ظهرت هذه المسرحيّة في 1936 في مجلة الحديث مع تعريف: أوبيرا ذات فصل واحد بقلم الشاعر الملهم عمر أبو ريشة، وفي ديوان «شعر» في قسم حمل عنوان «مسرح»، وأخذت مكاناً في ديوان «من عمر» 1947، وبعدها عاودت الظهور في «مختارات» 1958، وختم بها الديوان بصورته الأخيرة: «ديوان عمر أبو ريشة» 1971، ولكن سُبِقت بمصطلح في صفحة مستقلّة: «أوبريت»، وترجمها عمر ضمن مختاراته بالإنكليزيّة «roving along»، ووضع لها عنواناً مؤدّاه: «ضربات الريشة الأخيرة final touches» مع مصطلح أوبريت «an operette» .

شخصيّات المسرحيّة

جميل: (فنّان تشكيليّ)

سعاد: (زوجته)

نزار: (صديق الفنّان وكانت تربطه أواصر بسعاد قبل زواجها)

عـذاب

«يرفع الستار عن صالة للتصوير في غرفة فقيرة الأثاث. المصور أمام لوحة يرسم عليها صورة زوجته سعاد وهنا وهناك مقاعد مبعثرة».

جميل المصِّور:

جمالَ الحياة على مقلتيكَ
سكبتُ فؤادي، فلا تهجعِ
عصرتَ على شفتيّ المنى
فسالتْ نعيماً على أضلعي
عرفتُ بكَ اللهَ بعد الضَّلالِ
فدلَّ البديعُ على المبدعِ
أغنّيكَ حبّي، وهذا الوجودُ
ضحوكُ الثّنايا يُغنّي مَعي

«ينادي»

سعادُ، مُنى القلب، خلي الرّؤى
تذوبُ على دافئِ المضجعِ
لقد أومأ الصّبحُ للسّاجعات
فهبّت تفتّش عن مرتعِ

«تدخل سعاد»

سعاد (بدلالٍ) : جميلُ !

جميل : سُعَادُ

سعاد : أَصوّرتني ؟

جميل : أُريد يدَيْ ساحرٍ مبدعِ

ظلالُ الهُيولَى وألوانُها

وراءَ بناني، ولم أَقنعِ

ومن دونِ روحِكِ هذا القناعُ

وما نَسجَ الظَّنُّ من بُرقعِ

كأنَّ حدودَ الفنونِ انتهتْ

وما بلَّغتني مدى مَطْمعي

«يرمي بريشته وينهض»

سعاد : حبيبي ...

جميل : فديتُ الشّفاهَ التي

تصبُّ الخلودَ على مَسْمعي !

«يقبّلها»

سعاد : تقبّلني ؟ إنّ خدّ الوسادِ

تململ في ليلنا المُمْتعِ

جميل : أَيُروَى جريحٌ، صريعُ الظَّما

أكبَّ عَياءً على مَنْبعِ !

هبي قلبيَ البكرَ طفلَ الحياة

تشبّث بالثّدي من مُرضِعِ

تعالَي، أطلِّي على عالمٍ

يُعربد في سُكْره الموجعِ

«يتجهان نحو النافذة»

سعاد : أَحنُّ إلى مثل تلك القصورِ

كستْها الخمائلُ أبهى حُلَلْ

فكم مرَّغَ الفجرُ أجفانَه

عليها، ولم تتفتّحْ مُقَلْ

جميل : جمالُك أحرى بقصرٍ منيفٍ

إليه جناحُ الرّؤى ما وصَلْ

وفيمَ التّمني، وثغرُ النّعيمِ

على مَبسمينا نديُّ القُبَلْ

سعاد : أتسمع ؟ مَن يا ترى قادمٌ

«يدخل نزار»

جميل : نزارُ ؟

نزار : أجلْ يا رفيقَ الصّغَرْ

سعادُ !

جميل : لقد تاب عن بغيِهِ

زماني وردَّ المنى، واعتذرْ

نزار (بألمٍ) : لتجرِ لياليكما كلُّها !

مضمَّخةً بالأماني الغُرَرْ

فما العمرُ إلاّ التفاتُ الرّضى

إلى ما رمَى خلفَه مِن أَثَرْ

جميل (مداعباً): أنتَ نزارُ ! ألا لهفةٌ

لديكَ إلى الموعدِ المُنْتَظرْ

وفيمَ تلكّأتَ عن زَورتي ؟

أعن سَلوةٍ منكَ أم عن كِبَرْ

أهذا وفاؤكَ

سعاد : عفواً نزارُ ،

«تذهب»

جميل (يتمّ) : أما زلتَ خِدن الهَوى والسَّمَرْ

تناسيتَ عهداً سخيَّ اليدين

نديَّ الظّلال، شهيَّ الصُّوَرْ

تجدِّد في كلّ يومٍ هواكَ

وتقطفُ من حيثُ شئتَ الثَّمَرْ

كطيرٍ لعوبٍ، سريعِ الجناحِ

فما قرَّ في الدّوحِ حتّى نَفَرْ

نزار : رويدَكَ، لا تنكأَنَّ الجراحَ

على ذكرياتِ رؤىً هُجَّدِ

لقد نفضَ اللّهوُ منّي يدَيهِ

فلن نتلاقى على موردِ !

جميل : لكَ الخيرَ كيفَ حمِدتَ السُّرى

وليلُكَ ما نمَّ عن فَرقدِ

فأيٌّ هوىً باركَتْه السّماءُ

سَرَيتَ على وَحْيه تهتدي ؟

أأَعرفُه ؟ أمْ أنا واهمٌ

حسبتُكَ تخلَعُ ما ترتدي !

«تدخل سعاد بطبق من السّكر»

سعاد : أأبطأتُ ؟

نزار : أخجلتِنا يا سعادُ

وأعطيتِنا فوقَ ما نجتدي !

«يتناول هو وجميل قطعة»

جميل : نزارُ، هنا سَلوتي كلّما

عثرتُ بأحلاميَ الشُّرَّدِ

« يشير إلى سعاد فتقع عينه على طرف ردائها الممزَّق»

ولو أستطيع خلعتُ الضّياءَ

وشاحاً على قدِّها الأملدِ

سعاد (خجلى) : تحمِّلُني العطفَ حتّى أنوءَ

به يا جميلُ، فلا تَزْددِ

«تخرج راكضة»

جميل (لنفسه) : ألا يا متاعَ الحياةِ الرخيصَ

أتبسِمُ لليومِ أمْ للغدِ

أخا الودِّ، إنّي على مَوعِدِ

فَصِلْنا نَصِلْكَ بلا موعدِ !

«يحمل جميل أحد ألواحه ويخرج مع نزار، تدخل سعاد مضطربة»

سعاد : كأنّي أراهُ وفي مقلتيه

بريقٌ من الغَيْرةِ العاتيَهْ

أَعَادَ لينشرَ مِن أَمسِهِ

صحائفَ أهوائِهِ الماضيَهْ

أهاجْته ذكرايَ ؟ أم رفرفَتْ

عليه طيوفُ الهوى الدّامِيَهْ

تفيضُ يداه بذوبِ اللّجينِ

إذا ظمئتْ نفسُهُ الطّاغيهْ !

«يدخل نزار»

أراكَ رجعتَ !

نزار : دعاني الهوى

وأيقظ آلاميَ الغافيَهْ

سعاد : وزوجي !

نزار : دعينا ...

سعاد (مقاطعة) : احْترمْ شعلةً

أضاءت على روحي الدّاجِيَهْ

أهنتَ الصّداقةَ ...

نزار : لا تجرحي

ضميرَ المروءةِ يا قاسِيَهْ !

سعاد : أتذكُر ماضيكَ ؟..

نزار : كفَّنْتُه

وواريتُهُ حُفْرةً نائِيَهْ !..

سعاد : وهمسُ الوعودِ على مَسْمعي

نزار : أكفِّرُ عنهُ بِعبْراتيهْ

لقد هزَّني منْكِ هذا الجمالُ

مَهيناً بأسمالِه الباليَهْ

ألا تبصرينَ الصّبايا الملاحَ

ورقَّةَ أبرادِها الزّاهِيهْ ؟

ألا تحزنينَ على زَنْبق

يُحيط به الشّوكُ في الآنِيهْ ؟!

سعاد(بارتباك): نزارُ ...

نزار : لعينيكِ ما في يدي

فلا تحبسي القبلةَ الشّافيَهْ

«يريها خاتماً»

سعاد (متردّدة) : ولكنَّ زوجي ...

له الجدولُ

السّموحُ ولي جرعةٌ صافِيَهْ

نزار (مقاطعاً) : ولا أرتجي غيرَها قبلةً

ولو غَضِبتْ نفسيَ الظّامِيَهْ

سعاد (لنفسها): أأمنحُه قبلةً من فمي

وأدفِنُ تذكارَها في العَدَمْ

سعاد (لنزار) : نزارُ أخافُ جنونَ الشّباب

وأخشىَ أنوءُ بعبءِ الألَمْ

نزار : لعَمْرُكِ، ما رُمْتُ ما يجرحُ

المروءةَ أو يستفزُّ النّدَمْ

أريدُ أقبِّلُ هذا الذي

يطهِّر روحي ويجلو السَّقَمْ

ويسكُبُ في جانبيَّ الهدى

ويرفعُ عن مُقلتيَّ الظُّلَمْ

سعاد : أَتُقْسِمُ أنْ لن تعودَ إليَّ

نزار : وعينيكِ .. هل فوقَ هذا قَسَمْ ؟

سعاد : تقبّلني !.

نزار : مثلَما قبَّلَتْ

شفاهُ الحجيجِ جدارَ الحَرَمْ

«يعانقها ويدخل جميل وفي يده حقيبة صغيرة»

جميل (بذهول): تبسَّمْ على الجُرح يا خافقي

فقد وثبَ السّهمُ من قوسهِ !

«نزار وسعاد يفترقان . يسقط الخاتم على الأرض»

سعاد (بذهول): جميلُ !

نزار : جميلُ !

جميل (باسماً) : ألا رقصةٌ

على مأتمِ الحبِّ أو عُرسِهِ ؟!

جميل (لنزار) : تراهُ خفوقاً على رِجْسِهِ

أراهُ صريعاً على قُدْسِهِ

ضعِ الزّهرَ غضّاً على مهده

وإنْ شئتَ ضعْه على رِمْسِهِ !..

سعاد : جميلُ حنانَكَ ...

«ترتمي عليه ونزار مطرق»

جميل (بخبثٍ) : يا نعمةً

أحبَّ إلى المرءِ من نفسه

ألستِ عزائي إذا ما تألَّبَ

بؤسُ الزّمانِ على أُنْسِهِ ؟!

سعاد : إلهي !

«تخرج بذهول»

جميل (لنفسه) : أَيبكي امرؤٌ يومَه

إذا غرسَ البغيُ في أَمْسِهِ

«نزار يهم بالخروج»

نزارُ ؟ إلى أين يا صاحبي

أطيرٌ تململَ في حَبْسِهِ !

علامَ الذّهولُ ؟

نزار : ألا خلِّهِ

يمزِّق روحي على ضِرْسِهِ !

جميل (بخبثٍ) : ألستَ صديقي وهل بيننا

حجابٌ تخافُ أذى لَمسِهِ ؟
وماذا يضرُّ الكريمَ الوفيَّ
إذا شربَ الصّحبُ من كأسِهِ ؟

نزار (بصوت وحشيّ) : كفى؛ لا تَزِدْ ...

«يخرج مشدوهاً»

جميل(بمضض) : يا لَصرحِ المنى
أيقلَعُهُ الغدرُ من أُسِّهِ ؟!

« يرى الخاتم على الأرض فيأخذه »

أفاعي الحياةِ ألا مزِّقي
صدورَ الحنانِ ولا تَنْدمي !
وصُبّي لعابَكِ في طعنةٍ
تئنُّ اشتياقاً إلى بلسمِ
فعَنْ كلِّ نابٍ تفيضُ الرُّقى
وتذهبُ بالألم المُفْعَمِ
فسيبي على غَيْرتي إنَّها
تُوَلْولُ في أفْقها المُظلمِ !..

«يناجي الخاتم»

هو الثَّمنُ البَخْسُ، ردَّ الهوى
ذبيحاً إلى قلبي المُضْرَمِ !..
أخاتمُ ! إنّي أرى مَبْسماً
على شفتيه بقايا الدَّمِ !

وألمحُ أشباحَ بغي الورى

تموّجُ في ماسِكَ الأقتمِ

خيالُ الضّحيّة يبكي عليكَ

ويشتمُّ فيكَ فمَ المجرمِ !..

وما لفتةٌ منكَ في خِنصَري

بأهونَ مِن عضَّةِ الأَرقمِ !..

« يلتفت يمنة ويسرة وينادي»

سعادُ ! سعادُ ! ألا تسمعينَ !

لقد بُحَّ صوتي وجُنَّ النّداءْ

«تدخل سعاد باكية»

أتبكين ؟ وا لهفتي للعيونِ

يُكسِّر أجفانَهنَّ البكاءْ !

دعينيَ أشربُ هذي الدّموعَ

تموجُ عليها طيوفُ الوفاءْ !!.

«يقبلها وهي تبكي»

كفَى يا سعادُ

سعاد : جميلُ اتئدْ

وردَّ بعفوكَ بعضَ العزاءْ

لقد ضقْتُ ذرعاً بوخزِ النّدامَةِ

جميل (بمكرٍ) : شُلّتْ يداها ؟!

سعاد : كفاكَ ازدراءْ

خذِ القلبَ وامضغْه يا قاتلي

بهذا التّهكّمِ والاِجتراء !

جميل (بخبث) :

معاذَ الهوى، كيفَ أقسو عليكِ

وأقسو على كِبرياءِ الوفاءْ ؟!

«ترى الخاتم في خنصر جميل»

سعاد : إلهي .. أخاتَمُه ؟

«تقعد على المقعد خائرة»

جميل (بخبث) : اِنهضي

ولا تتركيني خَدينَ الشَّقاءْ ؟

ففي جبهتي أنتِ أنتِ الخيالُ

وفي مقلتي أنتِ أنتِ الضياءْ !

ولولاكِ كنتُ طريدَ الحياةِ

أجوبُ السّرابَ سليبَ الرَّجاءْ !

سعاد (بتوسل) : جميلُ !..

جميل : مُريني بما ترغبين

ولا تمطريني بهذا الجفاءْ !

«يفتح الحقيبة ويخرج رداء منها»

سعادُ ابسمي !

سعاد (بسكون) : ما أرى يا جميلُ ؟

جميل : رداءٌ تحنُّ إليهِ النّساءْ !

لقد نسجتْهُ يدا فِتنةٍ

على قَدِّكِ الغضِّ

«يحرك الخاتم بخنصره»

سعاد : يا للسّماء !

جميل (يتمتم) :

عُصارةُ فكري لقد بعْثُها

وجئتُ إليكِ بهذا الرّداءْ

«يحرك الخاتم بخنصره»

سعاد (باضطراب): جحيمُ الحياة !

«تنهض بجنون»

جميل (بسكون) : جرى سمُّها

يَعيث بأحنائها كيف شاءْ ...

«ترمي سعاد بنفسها من النافذة، جميل يضحك
ضحكة وحشية ثم يجلس بسكون أمام صورة فتاته ويبدأ بإتمامها»

(الستار)

1935